وأنتم الأعلون

سعيد بن محمد آل ثابت

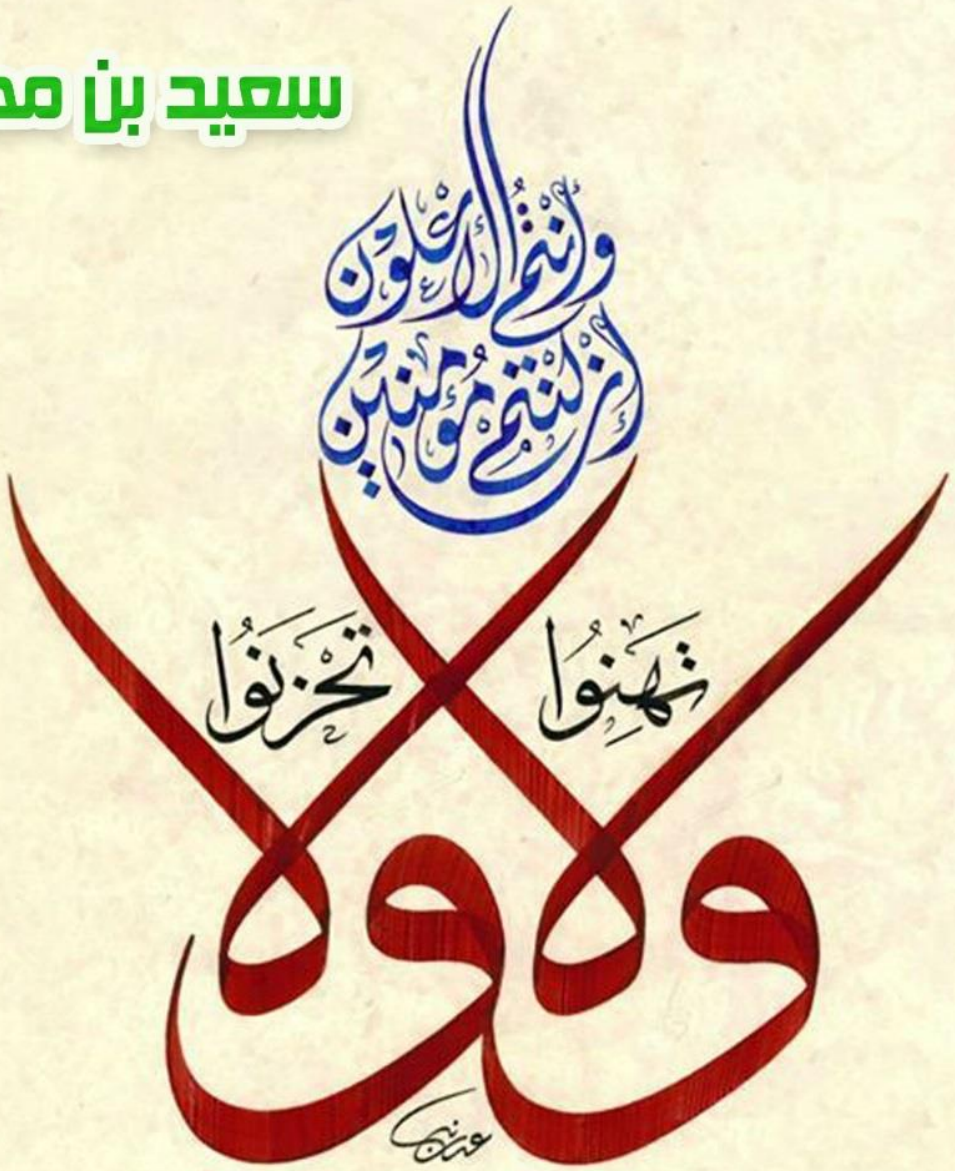

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأنتم الأعلون

سعيد بن محمد آل ثابت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأنتم الأعلون

إنَّ معركة المصير التي قضَى الله ألاَّ تَخبُوَ نارُها، ولا تُخْمَد جَذوتها، ولا يَسكن لهيبُها، بل تظلُّ مستعِرةً، حتى يَرِث الله الأرض ومَن عليها، هي معركة الحق مع الباطل، والهدى مع الضلال، والكفر مع الإيمان. وإن هذه المعركة في واقعها انتفاضةُ الخير أمام صولةِ الشرِّ في كل صُوَره وألوانه، ومهما اختلفتْ راياته، وكَثُر جُنده، وعَظُم كيْدُه، وأحْدَقَ خطرُه؛ وهي لذلك ليست وليدةَ اليوم، بل هي فصول متعاقبة موغلة في القِدَم، يرويها الذكر الحكيم، ويتلو علينا الربُّ الكريم من أنبائها؛ تبصرةً وذِكرى للذاكرين، وهُدًى وموعظة للمتقين. { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: 40].

الصراع بين الحق والباطل سنة ربانية، ولولا الصراع بين الحق والباطل لم يقم علم الجهاد، و لم تخلق النار وبئس المهاد، وما وجدت الجنة لخير العباد، ولما نودي يوم التناد: "فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ"الشورى: 7، وجيء بالأشهاد. قال تعالى عن نشأة هذا الصراع ذاكراً خطورة العدو: {إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} [طه: 117]. فإن من أظهر سنن الله في هذا الكون سنة الصراع بين الحق والباطل، وعلى هذا خلق الله الخلق، فكان خلقه وحكمه وتصرفه في الكون عادل، ولا يزل هذا الصراع موجوداً إلى حين يبعث الله الأواخر والأوائل. فهو الذي أمر إبليس بالسجود لآدم فأبى، استكباراً وحسداً، فطرد من رحمة الله أبداً، و لم يكن له بعد الطرد والإبعاد يدا، فخسر خسراناً كبيراً سرمداً.. ومن حينئذ بدأ الصراع، وتفاقم التراع، فكانت سنة الله تعالى أن يحيى من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة ولا يظلم ربك أحداً.

اعتاد المنافق والفاسق على عادته من استغلال كل شاذة وفاذة فيما يضر أرباب الإيمان والهدى، ويضرم ويكيد مع وسائله الشتى كل نار ووقود على منابت الحق وأصوله، وقد كان ولا زال ضرره أشد على أهل الإسلام من الكفار، إذ الأول بينهم ومن بني جلدتهم ويتحدث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بلسانهم، والآخر ليس كذلك، لذا سارعوا بالتلبيس على أهل الحق، وبإلحاق الضرر بهم. (إن ما يرفعه المنافقون في أكثر بلدان المسلمين في وجه أهل الخير والإصلاح من أنهم دعاة شر وإرهاب وفساد، وما تجلبه وسائل الإعلام المختلفة وتدندن به على وصفهم ورميهم بهذه الأوصاف الظالمة حتى تأثرت بذلك بعض الأدمغة المخدوعة، فسقطت في فتنتهم، ورددت معهم هذا الظلم والخداع، وبالتالي تعرض أهل الخير للأذى والنكال باسم المصلحة الشرعية ومكافحة الإرهاب والفساد، وذلك بعد أن تهيأت أذهان المخدوعين من المسلمين لهذا الخداع والتلبيس)[1]. لكن أرباب الحق أبوا إلا أن يشع نور الحق اللامع الذي يقتبس قوته من التشريع المهيمن والباقي إلى قيام الساعة؛ وأن يُجلوا بهذا النور الساطع ظلام النفاق والكفر. وانبرى لهم ما انبرى من الدعاة والعلماء والكُتاب والغيورين والمحافظين على سفينة الحق ليوضحوا ويردوا ويقارعوا الشبه والشهوات، ولكن ثمة توصيفات خرجت بحسن نية تتهم زماننا بانهزام الحق فيه وفشوّ الباطل، وطغيان الأفكار المستوردة، وتغريب السواد الأعظم من المجتمع مما يجعل هناك قوالب عدة تبث روح الانهزامية واليأس، ويزيد الأمر ضرواة أن تصدر من سُراة الطائفة المنصورة وهي تهز رأسها بتأكيد أن ما يريده أهل التغريب سيكون مهما كانت المدافعة، وهذا لم يكن محل توفيق ولو حصل، ويُخشى من مثل ذلك أن يحقن في النفوس دواعي الانهزامية والتقاعس عن العمل والمقارعة، والتسليم بفشل الجهود ضد أبواق العلمانية وأذيالها؛ وقد قال محمد أحمد الراشد: (ومن العوائق: الهزيمة النفسية أمام كثافة نقد المتهجمين، حتى إنه ليظن بنفسه السوء)[2]، وواعجباه من المقولة العمرية التي ندعو للتأمل فيها حين قال –رضي الله عنه– : (يعجبني الرجل إذا سِيمَ خطة ضيم أن يقول: "لا" بملء فيه)، لا بد أن تكون (لا) في واقعنا شيئاً ملموساً، فحين يُراد بنسائنا التحرير المفترى فـــ(لا)!، وحين يُراد بمنابع الخير التجفيف فـــ(لا)!، وحين يُراد بالشريعة ومقاصدها وأصولها سوءاً فـــ(لا)! وإننا إن أردنا أن نوصل للأجيال مفاهيم الحق ومعانيه علينا أن نكرس في ذواتنا معالم هذا الدين وثوابته وسنن الله –جل وعلا–، وأن نسبر تلكم المبشرات الإلهية والنبوية، وقصص الغابرين، وحكايات الأولين، وتجارب الغيورين، فهي أشهى ما يشبع جوعة دعاة الحق لاسيما في هذه المرحلة، قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة:

---

[1] "منارات في الطريق" ص(46، 47)، لعبد العزيز بن ناصر الجليل.

[2] " كتاب العوائق" ص(221)، لمحمد أحمد الراشد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

32، 33]، قال ابن كثير: (يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بغية وكما أن هذا مستحيل فذلك مستحيل)3، وإن هذا العداء قائم من قيام صوت الحق. ولكنّ هذا الدين عظيمٌ بعظمة مُشرعه وحاميه فلا يكاد يهزم أو تُستأصل شأفته، حتى يهيء الله له من يعيد المجد ويسترد الحق؛ بل لو ضعف في مكان قامت رايته في مكان آخر؛ (إن الإسلام لم ينكب في ناحية من نواحي العالم ولم يخسر في جانب دولة إلا وقامت له دولة في جانب آخر ولم تسقط الراية إلا وخفقت له راية أخرى ولم يغب له نجم إلا وطلع له نجم آخر)4.

وقد عرف عقلاء الغرب كنه هذا الدين، وجوهره أكثر من بعض المتمسكين به، ويا ليت بعض قومي يعلمون ما في جُعبة القوم تجاه هذا الدين! صرح سالازار – ديكتاتور البرتغال السابق- في مؤتمر صحفي قائلاً: (إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يُمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيّرون نظام العالم، فلما سأله أحد الصحفيين: لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم، فأجابه: أخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافهم إلينا)5. (إن الإسلام بالذات كان ثورة تحريرية، حررت الفكر كما حررت الروح. حررت الفكر من الوهم والخرافة ووجهته إلى تنمية الحياة في الأرض)6.

إن لأتباع هذا الدين مزية في بذلهم وتضحياتهم مدى حياتهم لأنهم يناضلون من أجل الحق والحقيقة، فلا تَواكل ولا تراجع ولا تساقط، بل حتى الجراح المثعبة عقيب الحروب والغزوات لم تأخذ حقها في الشفاء حتى كان بلسمها معركة وغزوة أخرى، (والناظر في أحداث التاريخ منذ آدم –عليه الصلاة والسلام–إلى يومنا هذا فإنه يجزم ألا مكان فيه للعاجز القابع، وأن الثقات العاملين في سباق وتنافس للوصول إلى الغاية العليا وهي رضا الله تبارك وتعالى)7.

---

3 تفسير ابن كثير.

4 " تثبيت أفئدة المؤمنين" ص(37)، للدكتور سيد عفاني.

5 "جند الله" ص(22)، لسعيد حوى.

6 "نحو مجتمع إسلامي" ص(35)، لسيد قطب.

7 "عجز الثقات" ص(15)، للدكتور محمد موسى الشريف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثبت في الصحيحين عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة"، وهذا حقّ فيما مضى وما سيأتي أنه لن يذل من لزم هذه الطائفة، وإن اختلف الشُراح في ماهيتها ولكنها في الجملة تتحقق فيمن لزم الحق وناضل عنه وله.

إن من المسلمات لنا في هذه الحياة كمسلمين أن النصر لنا ولو بعد حين، وأن الله لا يرضى بما عليه أعداء الله من التدبير والتخطيط لطمس معالم الدين، ونسف مناهجه، وبالتالي فإنه مهما يكن على المؤمن من هم وغم، وما يلج قلبه من إشفاق على أمته، فحتماً سيُحقق موعود الله في نفسه تفاؤلاً وحياة جديدة، قال تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } [الصافات: 171 – 173].

فالوعد واقع، وكلمة الله باقية إلى قيام الساعة، وقد يرد عند البعض تساؤل عن الهزائم والوقائع التي ألمت بأهل الحق والإيمان على مدار الزمان وهل هناك تعارض بينها وبين ما وعد الله به أنبياءه وأتباعهم؟! نقول فليعلم القاصي والداني أن وعد الله ماض، وما يحدث كله بتقديره – جل وعلا–. وسنة التدافع مما سنها الله في الأرض قال تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج:40]، وبالتالي فإن أهل الإيمان يقووا مع الضربات ويزيدون تترساً بمثل ذلك ومع هذا فهم في دائرة النصر والتمكين، وما يكون من تأخر في النصر، أو ضرر يلحق فهو من الخير الذي يسوقه الله لهذه الأمة، فإن كانت في المعارك فالله يريد أن يصطفي ويختار شهداء، ويجلو المؤمن، وينكشف المنافق. وأما على الساحة الفكرية فالبقاء على طريق الحق لا يستطيعه سوى من يحمل هم الأمة، ولا يخاف في الله لومة لائم. وربما كانت تلك الصراعات إبرازاً للحق على لسان أعدائه فضلاً عن أهله. وإن كان تمييع المسلمات والإغراق في الدنيا وتغيير المبادئ وتحوير المفاهيم قد صار سمة عند بعض من كان له قدم سبق في الإصلاح والتغيير فهنا ينبغي للمؤمن الاستمرار في سؤال الله الثبات والنصر، والتوفيق و الهداية. وثمة أمر آخر، وهو أن بعض ضعاف الإيمان يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، فيحسبون أن الله يرضى عن الباطل فيملي له في غيه، ويقبل بالشر ويرخي له العِنان! أو يحسبون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن الله سبحانه لا يتدخل في المعركة بين الحق والباطل، فيدع للباطل أن يحطم الحق ولا يتدخل لنصرته! أو يحسبون أن هذا الباطل حق، وإلا فلِمَ تركه الله يغلب وينتصر؟! أو يحسبون أن من شأن الباطل أن يغلب الحق في المعركة، وأن ليس من شأن الحق أن ينتصر! ثم يدع المبطلين والمفسدين يتمادون في باطلهم، ويسارعون في إفسادهم، ويلجون في طغيانهم! وهذا كله وَهْم وباطل، وظن بالله غير الحق، والأمر ليس كذلك! يحسم الحق تبارك وتعالى الموقف فيقول: { قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ} [سبأ: 26]، ويقول أيضاً: {فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} [غافر: 78]. ويقول سبحانه: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } [غافر: 51]، إن النصرة في الدنيا قد تكون مؤجلة وقد تؤخر لحكمة يعلمها الله وقد تتضح لبعض عباده المؤمنين، أما النصر في الآخرة فلا شك ولا جدال في نجاة المؤمنين كما سبق في الآية الكريمة.

تأمل قول الحق -تبارك وتعالى-: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139] ؛ فلا تلبث إلا أن تستحضر العلو الذي اختاره الله لك في شأنك ودعوتك وبذلك، وهذا العلو اختاره الله لأهل الإيمان لأنه لا يستحقه سواهم، ولا يصمد عليه غيرهم، ولن يتمكن من الدفاع عنه إلا هم. قال السعدي: (ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم...بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن...وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال تعالى: {وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران: 139]. قال سيد معلقاً على الآية: (...فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها، الهداة لهذه البشرية كلها، وهم شاردون عن النهج، ضالون عن الطريق. ومكانكم في الأرض أعلى، فلكم وراثة الأرض التي وعدكم الله بها، وهم إلى الفناء والنسيان صائرون، فإن كنتم مؤمنين حقاً فأنتم الأعلون، وإن كنتم مؤمنين حقاً فلا تهنوا ولا تحزنوا، فإنما هي سنة الله أن تصابوا وتصيبوا، على أن تكون لكم العقبى...)[8].

[8] "في ظلال القرآن" (480/1)، لسيد قطب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أي جيل الحق! (إن المؤمن هو الأعلى، الأعلى سنداً ومصدراً فما تكون الأرض كلها؟ وما يكون الناس؟ وما تكون القيم السائدة في الأرض؟ والاعتبارات الشائعة عند الناس؟ وهو من الله يتلقى، وإلى الله يرجع، وعلى منهجه يسير)[9].

لقد امتلأ جو القرآن بالبشائر وآيات التفاؤل بالنصر والتمكين وذكر قصص الغابرين ومآلات المكذبين، ومواقف أهل الإيمان والصبر، ووعوده جل وعلا التي كانت بلسماً لجروح نازفة، ولا شيء مثل القرآن قال -جل وعلا-: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [محمد: 35].

إن للثبات على المبادئ، وديمومة الدعوة ضريبة، ولكن ما تثمره أوفى وأعظم من الانهزامية، ولاشك أن أنشودة الغيورين للحق النصر والعاقبة الحسنى العاجلة والآجلة؛ والتناغم بهذه المعاني أورثت جبالاً من الإيمان في صدورهم لا يستطيع زعزعتها أي أحد من الخلق مهما بلغ، ومهما كان إلا أن يشاء الله بشيء من عنده، وهم في العادة أقدر الناس على مقابلة الناس، والأخذ بأيديهم لما فيه خيرهم الديني، والدنيوي، وعادة ما (يثق الناس في الثابت الراسخ، ويعظم أثره فيهم، حيث إنه يشيع فيهم الطمأنينة إلى حاله والركون إليه، بينما القَلِق المتقلب قلما يُركن إليه ويوثق به، وهو عامل خوف واضطراب فيمن حوله من الناس)[10].

وقد يقول قائل هذا في حق جهاد المعارك، والحق إن الجهاد في سبيل الله معناه واسع فجهاد بالسنان والبيان واللسان والجنان، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [التحريم: 9]، وقال سبحانه: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69]، وإن هذا عام في حق كل من وقف حارساً لدين الله عند أي باب يُراد الدخول منه.

---

[9] "معالم في الطريق "ص(180)، لسيد قطب.

[10] "الثبات" ص(26)، للدكتور محمد موسى الشريف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن للمؤمن سلوة وهو يعاود إبحاره في نصوص الوحيين ليستلهم معاني النصر والتمكين، ومن ذلك ما رواه ثوبان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها" رواه مسلم، وها هو قد بلغ المشرق والمغرب ولا زال في انتشاره، فهو كالشمس الشارقة التي تسطع على أهل الأرض شيئاً فشيئاً؛ ويعضد رجوع الإسلام وهيمنته على الأرض، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها" رواه البخاري.

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت على الصفا لنبت وحتى يمر الرجل على لحية الأسد فلا يضره ويطأ على الحية فلا تضره ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض" رواه الألباني في صحيح الجامع برقم (3814).

وأيم الله إنه لدين حق، ولا يدخل في قلب مؤمن ريبٌ في ذلك، ولكن قد يخيم على القلب شيء من فقدان الأمل أو الفتور وهذا طبيعي، وقد ذكره الله في القرآن على أن يكون حادي التفاؤل والإيمان ساري، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ } [يوسف: 110]. والسُنة حبلى بكثير من القصص والمواقف والمبشرات، وبعضها من علامات الساعة كظهور المهدي وغزو الدجال وقتله بيد عيسى بن مريم –عليه الصلاة والسلام-.

وإن هذه الأزمنة المليئة بهذه الصراعات حري على العبد أن يحتسب كل ما يُصيبه ويؤذيه، وليكن مؤمناً بما عند الله، ونسوق بشرى له حيث لا يضيع أجر المؤمن، وصبره وضيمه، فلقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: "إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم" رواه الألباني في صحيح الجامع (2234).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد يُساء فهم بعض النصوص والأحاديث من حيث اليأس والقنوط، ولكنها تحمل على محامل تفاؤلية كثيرة، فحديث الغربة مثلاً دال على قوة الحق وبقائه على ما بدأ، واستمرار الغرباء في الأرض وإن أصاب أهل الإيمان بعض البلاء والقهر في مكان ففي مكان آخر سيكون موسع عليهم، وإن ضاق عليهم في زمان فسيفرج عنهم في زمان آخر. وهكذا. (ولذلك يجب أن نفرق بين هذه الغربة، وبين الغربة الأخيرة المستحكمة التي تكون قبيل قيام الساعة، والتي يُدرس فيها الإسلام كما يدرس وشي الثوب، وتضيع معالم الدين جملة...وقد يحدث لبعض الشرائع غربة زمان، بحيث تكاد تندرس ثم يحييها الله بالمجددين، بعدما تغربت في الأرض كلها)[11].

(ولكن برغم ما أُصيب به المسلمون من علة وضعف فإنهم هم الأمة الوحيدة على وجه الأرض، التي تعد خصيم الأمم الغربية وغريمتها ومنافستها في قيادة الأمم، ومزاحمتها في وضع العالم، والتي يعزم عليها دينها أن تراقب سير العالم وتحاسب الأمم على أخلاقها وأعمالها ونزعاتها، وأن تقودها إلى الفضيلة والتقوى، وإلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وتحول بينها وبين جهنم بما استطاعت من القوة، والتي يحرم عليها دينها ويأبى وضعها وفطرتها أن تتحول أمة جاهلية. هذه هي الأمة التي يمكن أن تعود في حين من الأحيان خطراً على النظام الجاهلي الذي بسطته أوروبا في الشرق والغرب وأن تحبط مساعيها...فرسالة العالم الإسلامي هي الدعوة إلى الله ورسوله والإيمان باليوم الآخر، وجائزته الخروج من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس إلى عبادة الله وحده، والخروج من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وقد ظهر فضل هذه الرسالة وسهل فهمها في هذا العصر أكثر من كل عصر، فقد افتضحت الجاهلية وبدأت سوآتها للناس، واشتد تذمر الناس منها، فهذا طور انتقال العالم من قيادة الجاهلية إلى قيادة الإسلام، ولو نهض العالم الإسلامي، واحتضن هذه الرسالة بكل إخلاص وحماسة وعزيمة، ودان بها "كالرسالة الوحيدة التي تستطيع أن تنقذ العالم من الانهيار والانحلال")[12]، وبالتالي فإن الدعاة والمصلحين والعلماء المسلمين على اختلاف تخصصاتهم(كلٌ في شأنه) هم أحق من يقف مع هموم الناس، وأولى من يكون رجل العامة، وله الصدارة في تقنين المستوردات المعرفية والتجريبية، ومعرفة الصالح والفاسد، وأقول ذلك بلا مبالغة، وهو لمن

---

[11] " الغرباء الأولون" ص(50، 51)، للدكتور سلمان العودة.

[12] باختصار "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ص(264-267)، لأبي الحسن الندوي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ارتضى الإسلام منهجاً، لا كما يدعي لكع اليوم بأنه يريد الإصلاح ليفرض الهيمنة الغربية والله يعلم أنه من المفسدين.

(ولكن الطريق أمام الصحوة ذاته مملوء بالعقبات. مملوء بالأشواك مملوء بالعثرات. مملوء بالوحوش الضارية تتلقف السائرين فيه لتفتك بهم أول فأول، لأنها تعلم جيداً أنها إن لم تفتك بهم اليوم فغداً يسدون عليها الطريق...وحين يحققون العقيدة الصحيحة في ذوات أنفسهم، ويحققون المنهج الصحيح في واقع حياتهم، تجري السنة بقدر الله، وينتصر الإسلام في المواجهة الحاضرة بينه وبين الجاهلية، ويتغير وجه الأرض، ولكن العقيدة ينبغي أن تكون في صفائها كله، وفي بهائها كله، وفي ألقها كله، لتحدث في واقع الأرض الفارق الحقيقي الذي يلمسه الناس في صورته الأخاذة)13.

لذا يتوجب الإصلاح المدافعة وبذل المهجة في سبيل هذا الدين والدعوة إليه والمنافحة له، ورد الشبهات والشهوات والمصابرة في ذلك، والعاقبة للمتقين، وقد روى حذيفة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم" رواه الترمذي وحسنه. وعن أبي عبيدة عن ابن مسعود مرفوعا: "لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم "ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون". وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم –متكئاً فجلس فقال: "لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا" رواه أحمد. ولأبي داود: "ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود" إلى قوله: "فاسقون" ثم قال: "كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً"، زاد في رواية: "أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم"، وروى الترمذي وابن ماجه هذا المعنى، وقال الترمذي حسن غريب.

---

13 بتصرف " مفاهيم ينبغي أن تصحح "ص(364-375) "، لمحمد قطب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(فهل يعي المسلمون خطورة مكانهم ومكانتهم ودورهم المهيأ لهم؟ وهل يستطيع المسلمون إعطاء صورة صادقة عن هذا الدين مما يجعل بعض النفوس التي أراد الله لها الهداية أن تقبل على الإسلام..)14.

وإن هذه الدعوة لا تخص الرجال فحسب بل هي موجهة لشقائقهم15، والعبء عليهن ليس بالهين، حيث أنا نجد المنافقين قد نصبوا أنفسهم الدنيئة أوصياء على المرأة، وإن وجود المرأة المثقفة في وسط النساء داعية وكاشفة لمخططات المغرضين= له الأثر البارز وربما كان أبلغ من ذلك الأثر الذي يقوم به الرجل، لاسيما مع تدخل أصحاب الوجاهة والمنصب في عقر دار النساء بأفكار وخيمة تصادم المبادئ والمعتقدات الأصيلة، يقول أبو الأعلى المودودي-رحمه الله-، وهو يوجه خطابه للأخوات المثقفات بباكستان: (يتحتم على أخواتنا المثقفات بصفة خاصة وله من بعض الوجوه من الأهمية في الظروف الراهنة ما ليس لأي واجب غيره، وهو أن يقمن في وجه ذلك التيار الجارف من الضلال والانحلال الفكري والخلقي الذي تدفع إليه نساء الطبقة المتفرنجة عامة نساء باكستان...فعلى أخواتنا المثقفات ألا يتركن القيام بهذا الواجب إلى الرجال فحسب، فإنهم عندما ينبهون عامة نساء باكستان على خطر هذا التيار ونتائجه الوخيمة، يصيح المغرضون ويضللون النساء بقولهم لهن: إن هؤلاء الرجال إنما يريدون أن يستعبدوكن ويفرضوا عليكن سيادتهم ولا يرضون أبداً أن تخرجن من جدار بيوتكن ولا تتنسمن الحرية والاستقلال ولا ترين النور بحال...)16، ونحن نقر -بفضل الله- بوجود الفاضلات المناضلات، والفائدة منهن مرجوة ومحمودة، وإن كانت تجربة باكستان تشكو من المتفرنجات فإن شكوانا من بني جلدتنا الذين اُستؤجروا من القوى الخارجية ليهدموا صومعة الإسلام، ويكسروا بيضته، وإن لم يكن هذا مادياً فلسان الحال والمعنى ينطق ويصيح بذلك، وهو بعيد عنهم ذلك (هدم الإسلام) بقوة الله عز وجل ومنعته. والسابر لتحليلات المستشرقين والمتابعين ومراكز الدراسات يوقن بهذا جيداً، فقد قال أحدهم: (إن الشعلة التي أوقدها محمد-صلى الله عليه وسلم- لهي شعلة غير قابلة للانطفاء)17.

---

14 "خواطر في الدعوة1 " ص(50)، لمحمد العبدة.

15 في الحديث الصحيح "النساء شقائق الرجال" أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود.

16 " تذكرة دعاة الإسلام " ص(82)، لأبي الأعلى المودودي.

17 "واقعنا المعاصر"، لمحمد قطب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبالفعل من أمعن النظر في سيرته –عليه الصلاة والسلام– وصحبه الكرام–رضي الله عنهم– يجد النضال والاستمرارية فيما يؤمنون به يعتقدونه ويدعون له، ومن ثم التفاؤل رغم المحن والمصائب، ولو لم تنقل لنا عبر الأثبات والأسناد لشككنا في ذلك؛ لأن ذلك لا يُعقل إلا ممن اعتقد أن النصر مع الصبر، والعاقبة بالحسنى للمؤمنين، قال ابن القيم عن شيخ الإسلام رحمهما الله–: (علم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً وأقواهم قلباً وأسرهم نفساً. تلوح نضرة النعيم على وجهه وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض، أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة)[18].

إن التاريخ يُعيد نفسه، ويذكرنا بالماضي العريق الذي سطره السلف الصالح في سبيل توسعة رقعة الإسلام، ومدافعة الباطل وأهله في كل مصر وبلد، وهو مليء بالمشاهدات والمواقف التي لا ينسى ضيمها العدو المبين، حتى وهو في حالة إرعاده وإزباده.

كل أمجاد أمة ذكروها = فهي من روح مجدنا ورقات

كلما لاح في ذرى الغرب نجم = حجبته شموسنا الساطعات[19]

(لقد صمد الإسلام في حياته المديدة، لما هو أعنف وأقسى من هذه الضربات الوحشية، التي توجه اليوم إلى طلائع البعث الإسلامي في كل مكان. وكافح –وهو مجرد من كل قوة غير قوته الذاتية–وانتصر وبقي.. وهو مجرد من السلاح.

فهؤلاء المماليك الذين حموا هذه البقعة من التتار، لم يكونوا من جنس العرب، إنما كانوا من جنس التتار!، ولكنهم صمدوا في وجه عدوان بني جنسهم من المهاجمين حمية للإسلام لأنهم

---

[18] "الوابل الصيب من الكلم الطيب "، لابن القيم.

[19] من قصيدة الدكتور عائض القرني (سيرة الأبطال).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كانوا مسلمين!.. صمدوا بإيحاء من العقيدة الإسلامية، وبقيادة روحية إسلامية من الإمام المسلم (ابن تيمية) الذي قاد التعبئة الروحية وقاتل في مقدمة الصفوف!

والإسلام هو الذي كان في ضمير صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس، والمظفر قطز، والملك الناصر هو الذي كافح التتار المتبربرين، وهو الإسلام هو الذي كافح في الجزائر مئة وخمسين عاماً بعد أن تحطمت مقوماتها الممثلة في اللغة والثقافة.. والإسلام هو الذي هب للسودان في ثورة المهدي الكبير على الاحتلال البريطاني.. والإسلام هو الذي كافح في برقة وطرابلس ضد الغزو الطلياني..).[20]

إذاً فهذا هو ديننا، ويأبى الله أن ينخفض ويذل أهله لأنهم الأعلون الذين أعلى الله شأنهم في الدنيا والآخرة، ويبقى على أولئكم الطائفة جهاد باق ودائم بكل معانيه ضد كل باغٍ ومعتد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة" رواه مسلم. لذلك على المسلم أن يعيَ هذه السنة الربانية ويفهمها حق فهمها ليواجه فيها مصاعب الأمور والأحداث التي تمر به فلا ييأس ولا يقنط، بل يبقى التفاؤل رفيقاً له، والأمل حليفاً معه، يقارع أهل الباطل والشر، وخصوصاً مع ما يمكن أن تسمعه من الناس الذين ذهلوا عن هذه السنة العظيمة هذه الأيام وبسبب تكالب أهل الباطل والفجور عليهم فربما قال ما لا ينبغي قوله؛ بل لابد أن يستحضر المسلم: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء: 81]، وقد أشار القرآن الكريم لوثيقة الصلة بسُنَّة الصراع بين الحق والباطل، ألا وهي (سنة التدافع)، تلك السنة التي تقرر أنه سبحانه لا يُمكِّن للباطل في هذه الحياة ليستعبد الناس، ولا يفسح له المجال ليسخر عباد الله لخدمته وتحقيق مآربه، بل إنه سبحانه يقيم من أهل الحق من يقف في وجه الباطل، ويتصدى له في معاركه كافة، وهذه السُّنَّة هي المُعبَّر عنها بقوله سبحانه: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين"البقرة:251. فمن حمل السلاح حُمل له مثله، ومن حمل القلم، واللسان، وحتى العداء النفسي وهو يريد هذا الدين العظيم حُمل عليه بمثل ذلك وأكثر، قال الله: "واغلظ عليهم"، ونحن نستمطر قوة الله ونصرته، ونستعدي عليهم بسهام السحر وكل أشعث

[20] باختصار" المستقبل لهذا الدين" ص(90-91)، لسيد قطب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أغبر...اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك-صلى الله عليه وسلم-. اللهم انصر من نصر الدين واُخذل من خذل الدين.. اللهم أبرم لهذه الأمة أمر خير يُعز فيه أهل طاعتك ويُهدى فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر.